

## خصائص العربية و أسرارها

Oleh: Yelfi Dewi\*

### Abstract

*As a part of the language of Samiyah, Arabic has its characteristics that makes it different from other language. Among its Specific features (characteristics), Arabic has phoneme (ashwat), vocabulary (mufradat), syntax (nahwu) and morphology (sharf). In some Arabic words, there are some specialties compared to those of other language that remains the great secret of the Arabic itself*

**Kata Kunci:** أسرار، العربية، خصائص

### التمهيد

وكانت سائدة في جنوب الجزيرة العربية حتى أوائل القرن السادس للميلاد كما كانت سائدة قبل ذلك في شمالها. اللغة العربية هي اللغة الأمة التي كانت تسكن جزيرة العرب و أنها في الحقيقة ليست بجزيرة غلب عليها اسم الجزيرة، لأن كل ناحية منها محيطة بالبحار والأنهار. ففي الشرق الخليج الفارس، وفي جهة الشمال صحراء بلاد الشام.

إن اللغة العربية لغة من اللغات الإنسانية، ولا شك أن لكل لغة من اللغات الإنسانية طابعا خاصا وصفات تتصف بها سواء أكانت هذه الصفات صالحة تعين اللغة على بلوغ أغراض الحياة باستمرار أم كانت غير ذلك. وكذلك للغة العربية خاصة و عامة تمتاز بها عن غيرها. ومن أهم ما تمتاز به اللغة العربية أنها أوسع اللغات السامية تأثيرا في أصول الكلمات و المفردات،

لغة العربية إحدى اللغات السامية، وهي لغة أمة العرب القديمة العهد، والشائعة الذكر، والتي كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الغربي من آسيا. وهذه الأمة منها القدماء. وهم الذين يسكنون تلك الجزيرة وينطقون باللغة العربية سليقة و طبعاً أحمد الهاشمي، د. ت.: 328-329). إن اللغة العربية باعتبارها إحدى اللغات السامية، تؤلف مع اللغات اليمنية القديمة و اللغات الحبشية السامية شعبة لغوية واحدة يطلق عليها اسم الشعبة السامية الجنوبية وانتشرت في بعض أنحاء العالم انتشارا عظيما بفضل الدين الإسلامي وما تبعه من الحضارة، ويبدو ذلك في سرعة انتشارها في البلدان الإسلامية.

\* Penulis adalah Asisten Ahli dalam Mata Kuliah Bahasa Arab pada STAIN Batusangkar

مختلف عناصرها عن أخواتها السامية. و أخيرا بحث عن أسرار العربية.

## 1- خصائص العربية

### أ. أصوات اللغة العربية

تمتاز اللغة العربية عن أخواتها السامية في أصواتها، وذلك أنه اللغة العربية أكثر أخواتها احتفاظا بالأصوات السامية، فقد اشتملت على جميع الأصوات التي اشتملت عليها أخواتها، وزادت عنها أصوات كثيرة لا وجود لها في واحدة من أخواتها (على عبد الواحد وافي، د. ت: 164-165). وأنه كانت اللغة العربية نشأت في أقدام موطن للساميين و أن الموقع الجغرافي لهذا الموطن قد ساعد على بقائها حيناً من الدهر، فاحتفظت اللغة العربية بأكبر قدر من مقومات اللسان السامي الأول، فلأصوات العربية نحو خمسة عشر مخرجا (على عبد الواحد وافي، د. ت: 165-168). وقد ذكر فيها أن هناك أصوات اللغة العربية تخلو منها بقية اللغات السامية الأخرى، منها الثاء، و الذال، و الضاد، و الظاء، و الغين. وما يذكر عن الصوتين العبريين "ب/ P" و "ق/ V" — كما ذكره إميل بديع يعقوب في كتابه — لا وجود لهما في اللغة العربية (إميل بديع يعقوب، د. ت: 113)، ولعللها غير ساميين نظرا إلى إحدى خصائص اللغات السامية التي تختص بحروف الحلق والإطباق للاحروف الإذلاق.

فهى تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها، هذه إلى أنه قد تجمع في اللغة العربية المفردات و المترادفات التي لم تجتمع للغة سامية أخرى في مختلف أنواع الكلمات، اسمها و فعلها و حرفها.

قال ابن فارس في كتاب فقه اللغة "لغة العرب أفضل اللغات و أوسعها (السيوطي، 1978م: 321). و اللغة العربية أقدم اللغات التي ما زالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف و نحو و أدب و خيال مع الاستطاعة في التعبير عن مدارك العلوم المختلفة، ولا تزال لغة القرآن الكريم و لغة الشعر الجاهلي في صرفها و نحوها و تشبيها واستعارتها (عمر فروخ، 1981م: 7-8). ولذلك سنبحث الآن خصائص العربية و أسرارها.

## البحث

ينقسم البحث إلى قسمين يعنى خصائص العربية و أسرارها و ترجع عناصر أية لغة إلى أمرين: الصوت و الدلالة، و تتكون الدلالة من معاني المفردات وقواعد التنظيم (النحو) و قواعد البنية (الصرف) و قواعد الأسلوب (البلاغة). فينقسم البحث إلى أربع مسائل عدا قواعد الأسلوب: إحداها أصوات اللغة العربية، و ثانيها مفرداتها، وثالثها قواعد تنظيمها، ورابعها قواعد بنيتها. و من ثم سنعرض لكل مسألة من هذه المسائل الأربعة بحثا على حدة، متضمنا ببحث ماتماز به اللغة العربية في

أسماء العسل جمع فيه ثمانين اسما للعسل وذكر أنه مع ذلك لم يستوعب جميع أسمائه ( عبد الحميد محمد عبد السكين، د. ت.: 106). وقد ذكر جرجي زيدان في كتابه أن السنة لها 24 اسما وللنور 21 اسما وللظلام 52 اسما و للشمس 29 اسما و للسحاب 50 اسما و للمطر 84 اسما وللخمر 100 اسم (جرجي زيدان، 1988م: 33). بالإضافة إلى ذلك فإن اللغة العربية اختصت بظواهر لغوية أخرى أدت إلى كثرة مفرداتها ومعانيها، ومنها:

1- كثرة الاشتقاق، والاشتقاق في اللغة: أخذ شق الشيء وهي نصفه، والاشتقاق الأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد، واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه (لويس معلوف، 1986م: 396). و في الاصطلاح هناك تعريفات منها: اقتطاع فرع من أصل، تدور تصاريفه حول حروف ذلك الأصل وأخذ كلمة من أخرى بتغيير ما مع التناسب في المعنى وردّ كلمة إلى أخرى لتناسبها في اللفظ و المعنى ونزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى و تركيبا و مغايرتهما في الصيغة (إميل بديع يعقوب، د. ت.: 186-187). ولا بد أن يكون المشتق له أصل وأن يناسب الأصل في الحروف والمعنى. والاشتقاق في اللغة العربية أربعة أنواع:

أ) الاشتقاق الصغير أو الأصغر، وهو نزع لفظ من آخر أصل منه بشرط اشتراكهما في المعنى والحروف و الأصول وترتيبها (إميل بديع يعقوب، د. ت.: 188)، كاشتقاق اسم

فعرنا أن أصوات الحروف العربية في اللغة الفصحى و القرآن الكريم ثابتة لم تتغير ولم تتبدل منذ أربعة عشر قرنا أو أكثر. وذلك لأن قراء القرآن منذ العصر الأول قد عنوا بنطق الألفاظ وضبط الحروف من مخارجها وضبط وطريقة إخراجها عناية دقيقة شديدة حتى نرى أن الفصحى ينطقها جميع أبناء العرب واحدة صحيحة دون تغيير ولو اختلفت لهجاتهم السامية وكذلك يقرؤون القرآن.

#### ب. مفردات اللغة العربية

من أهم ما تمتاز به العربية أنها أوسع أخواتها السامية ثروة في أصول الكلمات والمفردات. فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها، وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول، ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها (على عبد الواحد وافي، د. ت.: 168).

وهذا إلى جانب أنه قد تجمّع لها من المفردات في مختلف أنواع الكلم، الاسم و الفعل و الحرف ما لم يتجمّع مثله للغة سامية أخرى بل بندر وجوده في لغة من لغات العالم أجمع ففيها للإسم خمسمائة اسم، وقد جمع الأستاذ دوهامر (De Hammer) المفردات العربية المتصلة بالجمل وما يتعلق به فبلغت خمسة آلاف وستمائة وأربعة وأربعون كلمة، وها أربعمائة اسم للداهية. وألف فيروزبادي صاحب القاموس المحيط في

غير مجازية (على عبد الواحد وافي، د. ت: 189). كلفظ "إنسان" يطلق على الواحد من بني آدم، وعلى ناظر العين، وحد السيف، وعلى السهم، وعلى الأرض التي تزرع إلى غير ذلك.

3- التضاد، وهو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده، كلفظ "الجون" الذي يطلق على الأبيض و الأسود (على عبد الواحد وافي، د. ت: 192).

4- التعريب، إن العرب يجتزئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقرها مخرجا وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضا، والإبدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم. وهذا التغيير يكون بإبدال حرف بحرف أو زيادة حرف أو نقصان حرف أو إبدال حركة بحركة أو إسكان متحرك أو تحريك ساكن و ربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه (إبراهيم السامرائي، 1985م: 22-23). والتعريب له تعريفات متعددة منها: أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نطقها وأسلوبها وأن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقا ونقل الكلمة من العجمية إلى العربية وأن يكون اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص أو القلب (إميل بديع يعقوب، د. ت: 215). وذلك كلفظ "جزم" معرب من "كزم" الفارسية بمعنى الحر، ولفظ "سرداب" معرب من "سردآب" بمعنى بناء تحت الأرض، و لفظ "أرنج" معرب من "رنده" الفارسية بمعنى جلد أسود.

الفاعل "ضارب" واسم المفعول "مضروب" واسم الآلة "مضرب" وغيرها من المصدر "الضرب" عند البصريين أو من الفعل "ضرب" عند الكوفيين.

ب) الاشتقاق الكبير أو القلب اللغوي، وهو أن يكون بين كلمتين تناسبا في اللفظ و المعنى دون ترتيب الحروف (إميل بديع يعقوب، د. ت: 198). نحو: "جذب" و "جبد"، "حمد" و "مدح"، "اضمحل" و "امضحل".

ج) الاشتقاق الأكبر أو الإبدال اللغوي، هو إقامة حرف مكان حرف في موضعه (إميل بديع يعقوب، د. ت: 205)، أو اتفاق الكلمتين في جميع الحروف عدا واحد مع تناسب المعنى بين اللفظين (على حسين البواب، د. ت: 11). نحو: "طن" و "دن"، "نعق" و "هقق"، "السرط" و "الصراط".

د) الاشتقاق الكبار أو النحت، هو أن تنحت من كلمتين فأكثر لتدل على المعنى الذي نحت منه (توفيق محمد شاهين، 1980م: 102)، أو ينتزع من الكلمتين فأكثر، كلمة جديدة تدل على معنى انتزعت منه (إميل بديع يعقوب، د. ت: 209). نحو: "البسمة" (من باسم الله) و "حمدله" (من الحمد لله) و "إنما" (من إن و ما).

2- الاشتراك اللفظي، هو أن يكون للكلمة الواحدة عدة معان يطلق على كل منها على طريقة الحقيقة لا المجاز، أي لها عدة معان حقيقة

### ج. قواعد التنظيم (النحو) في اللغة العربية

تمتاز اللغة العربية في شؤون التنظيم بالقواعد الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الإعراب والتي يتمثل معظمها في أصوات مد قصيرة، تلحق أواخر الكلمات لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة و علاقتها بما عداها من عناصر الجملة. وهذا النظام لا يوجد له نظير في أية أخت من أخواتها السامية، إلا بعض آثار ضئيلة بدائية في العبرية والآرامية والحبشية (على عبد الواحد وافي، د. ت: 210). وهناك تعريفات متعددة في الاصطلاح عن الإعراب، منها "الإبانة عن المعاني الألفاظ" (ابن جني، د. ت: 189) واختلاف أواخر الكلمات لاختلاف المعاني المتعاقبة عليها (محمد عبد السلام شرف الدين، 1984: 189) و"تغير العلامة التي في آخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه وما يقتضيه كل عامل" (عباس حسن، 1963: 44).

والمستشرقون في بحثهم اللغات السامية و مقارنة بعضها ببعض يتخذون عادة اللغة العربية نموذجاً لأقدم صورة كانت عليه شقيقاتها الأخرى، وهم يفترضون أن العربية قد انعزلت في جزيرة العرب، فاحتفظت أكثر من غيرها بظواهر سامية قديمة. أما اللغات السامية الأخرى فقد طرأ عليها من التغير والتطور ما باعد بينها وبين الأصل السامي القديم. ولعل المستشرقين حين شاهدوا الإعراب في اللغة العربية وخلق اللغات الأخرى منه قد خضعوا لمبدئهم العام من أن اللغة العربية

قد احتفظت بظواهر لغوية قديمة أكثر من غيرها وظنوا أن الإعراب من بين تلك الظواهر التي ربما تعود إلى السامية الأولى (إبراهيم أنيس، 1978: 215).

ولما كانت اللغة العربية لغة تتوخى الإيضاح والإبانة، كان الإعراب إحدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية، فكان إفصاحاً على صلات الكلمات العربية بعضها ببعض، و عن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها. وإنه رمز إلى معنى معين دون غيره، ولولاه لاختلطت المعاني ولم يفترق بعضها من بعض (عباس حسن، 1963: 44).

وفي اللغات الخالية من الإعراب يعتمد أهل اللغة على القرائن، و إلى إضافة الكلمات إلى الجملة لفهم المقصود من المعاني، ولكن الاعتماد على القوائن، و إلى إضافة لا يطرد اللبس والإهمام، فيها كما يقول اليمنى: "فأوجبت العربية التفريق بين الفاعل و المفعول، و إلا وقع اللبس و الإهمام". ويرون في الصدر "أن رجلاً دخل على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه، فقال له من غير إعراب: "قتل الناس عثمان"، فقال له أمير المؤمنين: "بين الفاعل و المفعول" اليمنى، 1980: 28) وبذلك لو لا الإعراب ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منوع، ولا تعجب من استفهام ولا صفة من مصدر، ولا نعت من تأكيد.

ويقول على عبد الواحد وافي في كتابه: "إن الإعراب أساسى من عناصر اللغة

أكثر من تغيرات في حركات أصواته الأصلية نفسها مع زيادة بعض أصوات عليها بدون زيادة، وأن كل ذلك يجرى وفق قواعد مضبوطة (على عبد الواحد وافي، د. ت: 216-217).

3. أنه يكثر ورود بعض الأوزان في اللغة العربية، أو يطرد ورودها فيها، للدلالة على معان خاصة، فمن ذلك أوزان أفعال الماضي والمضارع والأمر والتعجب واسم الآلة والمصدر واسم الزمان والمكان وجمع التكسير.

## 2- أسرار العربية

كرم الله تعالى اللغة العربية وفضلها على سائر لغات أهل الأرض، وهما انزل القرآن الكريم آخر الكتب السماوية معجزاً في بلاغته وفصاحته، بل تحدّى الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله في الفصاحة والبيان والبلاغة، وقد ظهر في رجال العرب من اشتهر بالخطابة والبيان والإيجاز اللغوي. ولو عدنا إلى معاجم اللغة التي تحوي في متونها أسرار بلاغة اللغة العربية لأدركنا مدى ما وصل إليه أجدادنا العرب في إدراك الفروق الدقيقة بين المعاني، والتفريق بينها عن طريق المترادفات. ففي الدلالة على الرؤية بالعين استعملوا ألفاظاً متعددة قد تبدو متشابهة في معانيها العامة إلا أنها تختلف في مدلولاتها الدقيقة في التعبير عن جانب من جوانب الإبصار بالعين (عبد اللطيف السعيد).

العربية، اشتملت عليه منذ أقدم عهودها. وكل ما عمله علماء القواعد هو أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصاً من القرآن والحديث وكلام الفصحاء من العرب، ورتبوها وصاغوها في صورة قواعد وقوانين (على عبد الواحد وافي، د. ت: 215).

## د. قواعد البنية (الصرف) في اللغة العربية

إن أهم مميزات اللغة العربية عن أخواتها السامية فيما يتعلق بقواعد البنية أو الصرف، ينظر إلى ما رآه علي عبد وافي أنها ترجع إلى الأمور الآتية:

1. نظام جمع التكسير، لا يشارك اللغة العربية في جمع المفردات على هذا النحو من بين أخواتها السامية إلى اليمينية القديمة والحديثة، ولكن اللغة العربية قد توسعت في استخدام جمع التكسير توسعاً كبيراً، حتى أصبح للمفرد الواحد فيها عدة جموع من هذا النوع. تعتبر جمع التكسير من أهم الأبواب التي تتحلى هذه الظاهرة في الكلمة العربية، فهو ليس جمعا يعتمد على لاحقة كالجمع السالم، وإنما يعتمد على تغيير الحركات مع ثبات الصوامت في مواضعها، وهي بذلك يدل على مرونة اللغة العربية وخصوبتها في إنسال الصيغ المختلفة من المادة الواحدة (عبد الصبور شاهين، 1980: 133).

2. أن الأصل الواحد في اللغة العربية يتوارد عليه مئات من المعاني، بدون أن يقتضى ذلك

عظيماً عندما هو أيسر منه، والعظيم قد يكون صغيراً عندما هو أعظم منه" (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 204).

2- الاختصاص بعد العموم (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 210). وما ذكره المؤلف يُعتقد من الوهلة الأولى أنه حشو في الكلام وهو أن يذكر المتكلم لفظاً عاماً، ثم يأتي بلفظ خاص بعده معطوف، وهذا يُسمى في البلاغة بالإطناب، نحو قولك: نجح الطلابُ وزيدٌ، مع أن زيدا طالب، لكنه معطوف لغرض بلاغي، وهو التنبيه على فضل زيد على بقية الطلاب لكونه مجتهداً ونحو ذلك. قال الثعالبي في هذا الفصل ما نصه: "العرب تفعل ذلك، فتذكر الشيء على العموم، ثم تخص منه الأفضل فالأفضل، فتقول: جاء القوم والرئيس والقاضي، وفي القرآن: "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى..." (سورة البقرة: 238)، وقال تعالى: "فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَتَخْلُ وَرُمَانٌ". (سورة الرحمن: 68)

وإنما أفرد الله الصلاة الوسطى من الصلاة وهي داخلة في جملتها، وأفرد التمر والرمان من جملة الفاكهة وهما منها للاختصاص والتفضيل... (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 210).

3- العموم بعد الاختصاص (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 210). ثم قال ما نصه: "قال الله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" (سورة الحجر: 87)، فخص

في هذا المبحث تطرق صاحب كتاب فقه اللغة وأسرار العربية أبو منصور الثعالبي إلى كثير من أسرار اللغة، وهذه الأسرار مهمة جداً لكل طالب علم مهتم بلغته لغة الدين. كثير جداً من طلبة علم اللغة العربية يتعامل مع هذه الأسرار على أنها خطأ محض، والحقيقة عكس ذلك، فهي صحيحة بالدليل والبرهان كما بينه المؤلف في كتابه (فقه اللغة وأسرار العربية). أرجو أن يكون في هذا البحث فائدة علمية لكل مهتم ومتابع لأسرار اللغة، وإليك أيها القارئ الكريم هذه الأسرار:

1 - تسمية المتضادين باسم واحد من غير استقصاء (أبو منصور الثعالبي، د.ت.: 204)، فقد ذكر الثعالبي من المواد اللغوية التي تستعمل في المعنى وضده في آن واحد، فكان مما جاء فيه قوله: "الغريم، المولى، الزوج" (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 204) ومنه قوله تعالى: "أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ..." (سورة البقرة: 35) فالمقصود حواء -عليها السلام- ثم ذكر -أيضاً- أمثلة أخرى، فقال: "البيع، الوراء يكون خلف وقُدَّام" (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 204). ومنه قوله تعالى: "وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (سورة المؤمنون: 100)، أي: قُدَّامهم، ثم ذكر الثعالبي -أيضاً- من هذه الكلمات ما نصه: "الصَّريم الليل وهو -أيضاً- الصبح لأن كلاهما منصرف عن صاحبه، الجلل اليسير والجلل العظيم، لأن اليسير قد يكون

السبع، ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها". والغرض من ذلك هو العناية بسبع المثاني وهي سورة الفاتحة، وهي أم الكتاب، وهي الشافية لما لها من مكانة بين سور القرآن الكريم.

4- ذكر المكان والمراد منه مَنْ فيه (أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 210). وهذا في علم البيان أحد علوم البلاغة العربية ويسمى بالبحر المرسل، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة غير المشاهدة مع وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي. قال المؤلف في هذا الفصل ما نصه: "العرب تفعل ذلك، قال الله تعالى: "وَأَسْأَلُ الْقُرْآنَ الَّذِي كُنَّا فِيهَا..." (سورة يوسف: 82)، أي: أهلها. وكما قال -جل جلاله-: "وَأِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا..." (سورة هود: 84)، أي: أهل مَدِينٍ" (أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 210).

والعلاقة في الأولى مكانية وفي الثانية حالية.

5- جمع الفعل عند تقدمه على الاسم (أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 213). ثم قال ما نصه: "ربما تفعل العرب ذلك، لأنه الأصل فتقول: جاؤني بنو فلان، وأكلوني البراغيث، وقال الشاعر: رأيت الغواني الشيب لاح بعارضي \* \* \* فأعرضني بالحدود النواضر وقال آخر: نتج الربيع محاسنا \* \* \* ألقننها غر السحائب وفي القرآن: "وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا..." (سورة الأنبياء: 3)، وقال -جل جلاله-: "ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ..." (سورة المائدة: 71)

(أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 213). والعجيب أنه مع كل هذه الشواهد العربية الصحيحة فإن مثل هذا الاستعمال في الكلام يُعد من اللحن في مناهجنا فيجعلون قولك: (نصروني قومك)، عبارة خاطئة يجب تصحيحها! وهي لغة من لغات العرب، وقد أوجد النحاة لها تخریجاً إعرابياً سليماً يتعدى عن أن توصم بالخطأ، فمن هذه التخریجات جعل الضمير للدلالة على الجمع فقط، والاسم الذي يدل على الجمع يكون هو فاعل الفعل.

6- المفعول يأتي بلفظ الفاعل

(أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 215). ففي هذا الفصل أسرار لغوية رائعة جداً ينبغي لطالب اللغة أن يتنبه لها حتى لا يقع في الحرج، خصوصاً إذا كان متخصصاً بعلوم اللسان، وهو أن يستخدم المتكلم صيغة اسم الفاعل وهو يقصد اسم المفعول، وهذا مستخدم في لغة العرب، بل موجود في كلام رب العالمين في القرآن الكريم قال المؤلف تحت هذا الفصل: "تقول العرب: سر كاتم، أي مكتوم، ومكان عامر، أي معمور، وفي القرآن: "لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ" (سورة هود: 43) أي: لا معصوم. وقال تعالى: "خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ" (سورة الطارق: 6)، أي: مدفوق، وقال: "عِيشَةَ رَاضِيَةٍ" (سورة الحاقة: 21)، أي: مرضية. وقال الله سبحانه: "حرماً آمناً" (سورة القصص: 57) أي: مأموناً. وقال جرير:



إلى عشرة، نحو قوله تعالى: "سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً" (أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 216). ونحو قولك: اشتريت ثلاثة أقلام وثلاث مساطر، قوله: إن رجلاً فقد ورد من كلام العرب ما ظاهره خلاف هذه القاعدة إذ صحَّ عن النبي إن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً، بتأنيث العدد مع أن المعدود وهو كلمة نفس مؤنث فكيف لم يخالف العدد المعدود؟ فقد أورد لنا المؤلف السبب في ذلك في هذا الفصل، فقال ما نصه: "من سنن العرب ترك حكم ظاهر اللفظ وحمله على معناه، كما يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنثة وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص. قال الشاعر: ما عندنا إلا ثلاثة أنفس \* \* \* مثل النجوم تالأت في الحنْدِس وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة: فكان مجنّي دون ما كنت أتقي \* \* \* ثلاثُ شخوصٍ كاعبان ومعصر فحمل ذلك على أهنّ نساءً" (أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 216). كما قال المؤلف بعد ذلك في الفصل نفسه بعد عدة أسطر: "وفي القرآن: "وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعيراً" (سورة الفرقان: 11)، والسعير مذكّر، ثم قال: "إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ..." (سورة الفرقان: 12) فَحَمَلَهُ عَلَى النَّارِ فَأَنَّثَهُ. وقال - عز اسمه - : "فَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا" (سورة ق: 11)، ولم يقل: ميتة، لأنه حمّله على المكان، وقال - جل ثناؤه: "السماء

إن البلية من تملُّ كلامه \* \* \* فانفع فؤادك من حديث الواثق أي: من حديث الموموق.

7- إجراء الاثنين مجرى الجمع (أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 215). في هذا الفصل ذكر المؤلف شيئاً قد يغفل عنه كثير من المختصين فضلاً على غيرهم وهو سر من أسرار هذه اللغة، وهو صحة مثل قولك: (طالبان نجحوا) فمع أن الاسم المتقدم على الفعل مثنى فقد لحق بالفعل، واتصل به ضمير يدل على الجمع، والعبارة هنا صحيحة، قال المؤلف: "قال الشعبي في كلام له في مجلس عبد الملك بن مروان: رجلان جاؤني، فقال عبد الملك: لحت يا شعبي، قال يا أمير المؤمنين ! لم ألحن مع قول الله - عز وجل - : "هذان خصمان اختصموا في رهيم" (سورة الحاح: 19)، فقال عبد الملك: لله درك يافقيه العراقيين قد شفيت وكفيت" (أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 216).

8- حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر (أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 216). في هذا الفصل أوضح المؤلف سرّاً عميقاً من أسرار هذه اللغة العظيمة وفي هذا السر كشف لإشكال يحدث لعامة طلبة اللغة وهو أن يُذكر اللفظ وهو مؤنث أو العكس، فبين المؤلف أن ما ورد على مثل ذلك عن العرب هو حمل اللفظ المذكر على معناه المؤنث أو العكس، فمن هذه الإشكالات مثلاً: في القواعد النحوية يجب في المعدود مخالفة العدد في التذكير والتأنيث إذا كان العدد مفرداً من ثلاثة

## 11- المجاز (أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 238).

والمجاز واسع جداً في اللغة العربية، وهو أن يستخدم المتكلم لفظاً فيضعه في غير موضعه ومعناه الحقيقي في اللغة، كأن تقول: رأيت أسداً يخطب. فالأسد الحقيقي الذي لا يتكلم ليس هو المقصود بل المقصود رجل يحاكي الأسد في شكله وهيئته. والعجيب أن ينفي بعض العلماء وجود المجاز في اللغة، والقول بأن كل ما في اللغة حقيقة، ومن قال ذلك لم يقله إلا هروباً وخوفاً من الوقوع في إثبات المجاز في باب أسماء وصفات الله - عز وجل - التي أولتها بعض طوائف البدع، والذي نعتقده اعتقاداً جازماً أن اللغة فيها مجاز والقرآن الذي نزل بهذه اللغة فيه مجاز، ولكن المجاز لا يدخل ألبتة في العقيدة وفي باب الأسماء والصفات خاصة، لأن العقيدة توقيفية، وكل تأويل يحتاج إلى دليل. قال المؤلف في هذا الفصل ما نصه: "قال الجاحظ: للعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم المخاطب من أصحابهم عنهم، كما جوزوا قوله: أكله الأسود، وإنما يذهبون إلى النهش واللدغ والعض، وأكل المال، وإنما يذهبون إلى الإفناء، كما قال الله - عز وجل - "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا" (سورة النساء: 10)، ولعلهم شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحلل..." (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 238). قال الشاعر: بلّ

منفطر به" (سورة المزمل الآية 18). فذكر السماء لأنه حمل الكلام على السقف، وكل ماعلاك وأظلك فهو سماء، والله أعلم".

9- فيما يُذكر ويُؤنث (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 219). ذكر المؤلف في هذا الباب ألفاظاً يجوز فيها التذكير والتأنيث، وهو سر من أسرار العربية يجب الاهتمام به ومعرفة معرفة تامة، فقال المؤلف ما نصه: "وقد نطق القرآن باللغتين، من ذلك: السبيل، قال الله تعالى: "وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا" (سورة الأعراف: 146). وفي تأنيثها: "وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا" (سورة الزمر الآية 17).

10- فيما يقع على الواحد والجمع" (أبومنصورالثعالبي، د.ت.: 219). وهذا فصل نفيس ومفيد لطالب اللغة خاصة ولطالب العلم عامة، ففي هذا الفصل شفاء وكفاية لمن يحدث له الحرج عند قراءة الشواهد العربية التي تمر عليه عند اطلاعه وقراءته، فيبحث عن التوجيه الصحيح لمثل هذه النصوص فقد قال المؤلف ما نصه: (من ذلك: الفُلُك)، قال الله تعالى: "فِي الْفُلُكِ الْمَشْحُونِ" (سورة يس: 41)، فلما جمعه قال: "وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ" (سورة البقرة: 164)، ومن ذلك: العدو، قال تعالى: "فَاتَّبَعْنَاهُمْ عَدُوًّا لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ" (سورة الشعراء: 77)، وقال: "فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ" (سورة النساء: 92).

وسهل... لكي يتفاءلوا بوجودهم عندهم، وهناك بعض الأسباب التي ذكرها الثعالبي ومنها: "بعضهم إذا وُلد له ولدٌ سماه بما يراه ويسمعه مما يتفاءل به فإن رأى حجراً، أو سمعه تأوّل فيه الشدة والصلابة والصبر والبقاء، وإن رأى كلباً تأوّل فيه الحراسة والألفة وبعد الصوت، وإن رأى نمرأ تأوّل فيه المنعة..." (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 241)، ولكن قول ابن الكلبي يكاد يكون هو الأصح.

13- تسمية المتضادين باسم واحد (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 247). من الكلمات التي ذكرها المؤلف وهي تستخدم للمعنى ولضده هي هذه الكلمات في قوله: "... والنَّدُّ: المثل والضدّ، وفي القرآن: "وَجَعَلُونَ لَهُ أُنْدَاداً" (سورة فصلت: 9) على المعنيين. والزوج: الذكر والأنثى، والقانع: السائل والذي لا يسأل، والنَّاهِل: العطشان والريان (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 247-248). وهذا الذي ذكره المؤلف سرّاً من أسرار هذه اللغة العظيمة فحريّ بكل طالب لغة أن يطّلع على لغته ويحصّن نفسه بالعلم فهو السلاح الذي يقي المرء شر الجهل والضلال.

14- (الاسم يدل على الثبوت والاستمرار، والفعل يدل على التجدد والحدوث) على المتكلم أن يكون بليغاً وأن يضع الكلام الملائم لمقتضى الحال موضعه المناسب، فانظر في قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمُ..."

السراويل من خوف ومن دهش \* \* \* واستطعم الماء لما جدّ في الحرب. فبلغ ذلك الحجاج، فقال: ما أيسر ما تعلق فيه يا ابن أخي! أليس الله - تعالى - يقول: "فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي..." هؤلاء أناس من المتقدمين ويحدث عندهم خلط! وانظر إلى البعد الزمني بيننا وبينهم، فماذا عسانا أن نقول عن المتأخرين! لذا كان لزماً على كل واحد منا أن يطّلع على لغته وأسرارها وخفاياها وخباياها.

12- تسمية العرب أبناءها بالشنيع من الأسماء (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 240). في هذا الفصل إجابة شافية وكافية من المؤلف لسؤال يحول في خاطر الكثيرين، وهو أنه كيف يقوم العرب بتسمية أبنائهم بأسماء شنيعة وقبيحة وهم الذين بلغوا القمة في الفصاحة والبلاغة والبيان؟ فقد ذكر المؤلف الإجابة على ذلك فقال ما نصه: "هي من سنن العرب إذ تُسمي أبنائها بحجر وكنب ونمر وذئب وأسد وما أشبهها..." (أبومنصور

الثعالبي، د.ت.: 240)، بعد ذلك بعدة أسطر نقل كلاماً لابن الكلبي حينما سئل هذا السؤال فقال: "لأنّها سمّت أبنائها لأعدائها، وسمّت عبيدها لأنفسها" (أبومنصور الثعالبي، د.ت.: 241). العرب معروف عنهم التشاؤم والتفاؤل فهم يسمون أنفسهم أسماء شنيعة لإخافة أعدائهم، وعلى العكس يسمون عبيدهم بأحسن الأسماء مثل: سعد،

الثبوت والاستمرار، أما الفعلية فإنها تدل على التجدد والحدوث.

16- (لا يلزم في التشبيه أن يكون المشبه به متصوراً في ذهن السامع). سأل رجل أبا عبيدة عن قوله تعالى : "طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ" (سورة الصافات : 65). كيف يقع الوعد والإيعاد بما لم يعرف؟ وكأن السائل يستغرب مجيء المشبه به (رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ) وهو غير معروف، وكذلك المشبه (الطلع)، فكيف يمكن تصور غير المعروف! فأجاب أبو عبيدة: إنما كلم الله - تعالى- العربَ على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس يتوعد رجلاً هددته بالقتل: أَيْقَتَلَنِي وَالْمَشْرِقِيُّ مُضَاجِعِي \* \* \* وَمَسْنُونَةُ زَرْقٍ كَأَنِيَابِ أَغْوَالٍ وَهَمَّ لَمْ يَرَوْا الْغُولَ قَطْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا كَانَ أَمْرُ الْغُولِ يَهْوِلُهُمْ أُوعِدُوا بِهِ . فاستحسن الجالسون ذلك ، وعزم أبو عبيدة من ذلك اليوم أن يؤلف كتاباً في مثل هذا وأشباهه، فلما رجع إلى البصرة ألف كتابه "بجاء القرآن". وقد ذكر الجاحظ نحوه من هذا الكلام فقال(66): "فقال أهل الطعن والخلاف : كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه، ولا وصلت لنا صورته في كتاب ناطق. أو خبر صادق. ومخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة، والتفريع منها. وعلى أنه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره. فكيف يكون الشأن كذلك، والناس لا يفزعون إلا من شيء هائل شنيع،

"(سورة الملك : 19). فقد عبر الله - عز وجل - عن حال الطير في السماء بما يناسبه، فصفتُ الجناحين؛ لأنه الثابت والمستمر لمدة طويلة عبر عنه باسم فقال: "صافات" ، أما قبضُ الطائر لجناحيه؛ فلأنه يحدث من حين إلى حين عبر عنه بفعل مضارع وهو "يقبضن"، فلم يقل: يقبضن صافات، بل قال: " صافات ويقبضن" . ومن أجل ذلك بين أهل البلاغة أن سلام إبراهيم - عليه السلام - أبلغ من سلام الملائكة، وذلك حينما دخلوا عليه فقالوا: " سَلَامًا قَال سَلَامٌ ... " (سورة الذاريات : 25) فجملة الملائكة جملة فعلية إذ التقدير : نسلم عليك سلاماً. أما جملة إبراهيم - عليه السلام - فهي اسمية إذ التقدير : سلامٌ عليكم، فدعوا الله له بالسلام المتجدد، أما هو فدعا لهم بالسلام الثابت. والفرق واضحٌ وجليٌّ.

15- (دخول "هل" الاستفهامية على الجملة الاسمية). الأصل في "هل" الاستفهامية دخولها على الجملة الفعلية، فتقول: هل صليت الفجر؟. وهذا استفهام حقيقي تكون إجابته إما بنعم ، أو بلا. أما عند دخول "هل" على جملة اسمية فإن دخولها يكون لغرض بلاغي. نحو قوله تعالى: "فَهَلْ أُنْتُمْ مُنْتَهُونَ" (سورة المائدة : 91) فدخلت على جملة اسمية - أنتم منتهون - كي يكون الانتهاء ثابتاً ومستمراً كما هو مقرر من فائدة الاسم ودلالته، وهي أن الجملة الاسمية تدل على

الصعاليك، وأنت شبهته بهم فهذا انتقاص من الخليفة. فأطرق أبو تمام قليلاً، ثم قال: لا تنكروا ضربي له من دونه \* \* \* مثلاً شروداً في الندى والباس فالله قد ضرب الأقل لنوره \* \* \* مثلاً من المشكاة والنبراس فعرف الفيلسوف الكندي أن هذا الرجل داهية، فقال: إنه لن يعمر طويلاً؛ لأن عقله يأكل من عمره. القصة وضحت لنا أنه لا يلزم في التشبيه أن يكون المشبه به أفضل، ولكن يجب أن يكون الأشهر.

### الخلاصة والاختتام

إن فيما تقدم في هذا البحث بصدد خواص اللغة العربية وصيانة أصواتها وغزارة مفرداتها ودقة قواعدها النحوية وخصب مناهجها الصرفية كالظواهر التي تدل بوضوح على سيادة اللغة العربية بين أخواتها السامية من ناحية عناصرها اللغوية. كذلك بأسرار العربية و التي توجد في كثير من آيات القرآن الكريم بأسلوب البلاغة.

بانتهاء إعداد هذا البحث، نرجو أن ننتفع به علوماً كثيرة إما معرفة أحوال اللغات السامية على وجه عام واللغة العربية على وجه خاص.

قد عاينوه، أو صورّه لهم واصف صدوق اللسان، بليغ في الوصف. ونحن لم نعاينها، ولا صورّها لنا صادق. وعلى أن أكثر الناس من هذه الأمم التي لم تعايش أهل الكتابين وحملّة القرآن من المسلمين، ولم تسمع لا يتوهمون ذلك، ولا يقفون عليه، ولا يفرعون منه، فكيف يكون ذلك وعيداً عاماً؟! قلنا: وإن كنا نحن لم نر شيطاناً قط ولا صور رؤسها لنا صادق بيده، ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان، حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين، أحدهما أن يقولوا: "هو أقبح من الشيطان"، والوجه الآخر أن يسمّى الجميل شيطاناً على جهة التطيّر له، كما تسمّى الفرس الكريمة شوهاء، والمرأة الجميلة صماء... وأشباه ذلك على جهة التطيّر له، ففي إجماع المسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان، دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح".

17- (لا يلزم في التشبيه أن يكون المشبه به أفضل من المشبه) ألجم أبو تمام الحاضرين عند المعتصم حين مدح المعتصم بقصيدة كان منها هذا البيت: إقدام عمرو في سماحة حاتم \* \* \* في حلم أحنف في ذكاء إياس قال الحاضرون: الخليفة يفوق هؤلاء

### المراجع

السامرائي، إبراهيم، في التعريب و العرب، المعرب، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م، ط1

أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، ط6

- ابن جنى، الخصائص، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، د.ت.، ج1
- الهاشمي، أحمد، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب، لبنان: دار الفكر، د.ت.، ط3، ج1
- يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية و خصائصها، بيروت: دار الثقافة الإسلامية، د.ت.
- شاهين، توفيق محمد، عوامل تنمية اللغة العربية، القاهرة: مطبعة الدعوة الإسلامية، 1980م
- زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، بيروت: دار الجليل، 1988م، ط2
- السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة و أنواعها، بيروت: المكتبة العصرية، 1978م\1408هـ، ج1
- حسن، عباس، النحو الوافي، القاهرة: دار المعارف، 1963، ج1
- السكين، عبد الحميد محمد عبد، فقه اللغة، مصر: مطبع الأمانة، د. ت.
- شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980
- البواب، علي حسين، ظاهرة الإبدال اللغوي، الرياض: دار العلوم للطباعة و الشر، د. ت.
- وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، القاهرة: دار هضة مصر للطبع و النشر، د. ت.، ط8
- فروخ، عمر، عبقرية اللغة العربية، بيروت: دار الكتاب العربي، 1401هـ\1981م
- معلوف، لويس، المنجد في اللغة و الأعلام، بيروت: دار المشرق، 1986م
- المبارك، محمد، فقه اللغة و خصائص العربية، بيروت: دار الفكر الحديث، 1964.
- الدين، محمد عبد السلام شرف، الإعراب و التركيب بين الشكل و النسبة، القاهرة: دار المرجان للطباعة، 1984.
- الجاحظ، البيان والتبيين. ج2
- النادى الأدبي. 2007. من أسرار العربية وفرائدها
- (Online), (<http://www.adabail.com>, diakses 15 september 2009)
- عبد اللطيف السعيد. مقالات في اللغة والتربية. من أسرار اللغة العربية.
- (Online), (<http://www.saaid.net>, diakses 15 September 2009)

